المدارس المنهجية في العلوم الانسانية

د-عباسي يزيد السداسي الثاني 2019-2020

محاضرة :المدرسة الاسلامية :

1-تعريفها: المدرسة الاسلامية أو إسلامية المعرفة منذ ظهورها في مطلع ثمانينيات القرن الماضي عند انشاء المعهد العالمي للفكر الاسلامي في الولايات المتحدة الامريكية اتخذت شكل رؤية منهجية و ليس حقلا معرفيا متخصصا او ايديولوجية جديدة ،تسعى في منهجا الى التجديد ومحاولة اكتشاف الذات و الواقع و عدم التقوقع او التمركز حول فكر أو مرحلة تاريخية معينة او مقولات معينة بمعنى أخر المدرسة الاسلامية ليست حركة مذهبية او اتجاه ايديولوجي ،هي في جوهرها منهج للتعامل مع المعرفة و مصادرها المختلفة أو يمكن عدها منظور معرفي في طور التشكل و البناء و الاكتشاف و النمو و الاختبار .

انطلاقا من تسميتها بالمدرسة الاسلامية حاول العديد من المنتمين و الباحثين في قضاياه اعطاء تعريفا لها وذلك من خلال اعطاء رسما او ترسيمة (schéma) تقرب او توضح معناه من خلال تصورهم لها او لأولويات العمل فيها .

يعرفها عماد الدين خليل في مؤلفه مدخل الى اسلامية المعرفة (المدرسة الاسلامية) تعني اسلامية المعرفة او (أسلمة المعرفة) ممارسة النشاط المعرفي كشفا و تجميعا و تركيبا و توصيلا و نشرا من زاوية التصور الاسلامي للكون و الانسان و الحياة (خليل، 1990).

و يشير محمد ابو القاسم حاج حمد في مؤلفه "منهجية القرآن المعرفية -أسلمة العلوم الطبيعية و الإنسانية الى أسلمة المعرفة بمعنى فك الارتباط بين الانجاز الحضاري البشري و الاحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة و اعادة توظيف هده العلوم ضمن ناظم منهجي و عرفي ديني -غير وضعي وهنا استيعاب و تجاوز يؤدي لمفهوم مختلف ؛فأسلمة المعرفة تعني أسلمة العلم التطبيقي و القواعد العلمية ايضا وذلك بفهم التماثل بين قوانين العلوم الطبيعية و قوانين الوجود المركبة على أساسها القيم الدينية نفسها .وبذلك تتم أسلمة الاحالات الفلسفية للنظريات العلمية بحيث تنفي عنها البعد الوضعي و تعيد صياغتها ضمن بعدها الكوني الذي يتضمن الغائية الإلهية (المقصد الالهي) في الوجود و الحركة (حمد، 2003).

و في تعليقه على هدا المفهوم يذهب طه جابر العلواني الى أن إسلامية المعرفة لا تعني بحال مجرد اضافة عبارات دينية ألى مباحث العلوم الاجتماعية و الانسانية باستمداد آيات قرآنية ملائمة لموضوعات

العلم المقصود أسلمته ،بل هي إعادة صياغة منهجية و معرفية للعلوم و قوانينها ،كما لا تعني مجرد سحب الانتماء الذاتي للدين على كافة الموضوعات لإضفاء صفة الشرعية الدينية على الانجاز الحضاري البشري و استلابه دينيا بمنطق الاحتواء اللاهوتي و اللفظي (العلواني، 1992).

2-تاريخ المدرسة الاسلامية و روادها :ينقسم التطور التاريخي للمدرسة الاسلامية الى مرحلتين اساسيتين:

*المرحلة الأولى :وتعود الى نزول الوحي (القرآن)على الرسول صلى الله عليه وسل وخاتم المرسلين و استمرت مع ذروة الحضارة الاسلامية ممثلة بفقهاء الدين و المفكرين و الفلاسفة في مختلف جوانب المعرفة الدينية و الفلسفية ومن اشهر من مثل الفكر الاسلامي الفقهاء من رواة الحديث والسنة الفلاسفة منهم ابوحامد الغزالي ،ابن تيمية،ابن رشد ،الفارابي ،ابن سينا ،ابن خلدون ،المسعودي .....الخ)

*المرحلة الثانية :تمتد من نهاية القرن التاسع عشر وما ميز هده المرحلة وقوع العالم الاسلامي تحت السيطرة الاستعمارية الاوروبية حيث ميز المدرسة الاسلامية الفكر الاصلاحي ممثلا ببديع الزمان النورسي و محمد عبده و حسن البنا و سيد قطب لتأتي فترة الاربعينيات من القرن الماضي و يبرز مفكرون على شاكلة المفكر العالمي مالك بنبي، ومحمد اقبال ،ومحمد باقر الصدر وخير الدين التونسي وابراهيم مدكور بطروحاتهم حول الفكر الاسلامي وصولا الى مرحلة الثمانينيات و تأسيس المعهد العالمي للفكر الاسلامي و تبرز نخبة من ممثلي المدرسة الاسلامية بمجموعة من الاعمال العلمية منها :

-صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية لإسماعيل راجي الفاروقي 1989.

-أزمة العقل المسلم لعبد الحميد احمد ابو سليمان 1991.

-أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية لمنتصر محمد مجاهد 1996.

-منهجية القرآن المعرفية -أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية و الانسانية لمحمد ابو القاسم حاج حمد 2003

-تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل للشيخ محمد الغزالي 1991 .

-مدخل الى إسلامية المعرفة لعماد الدين خليل 1990

-الواقع و المثال في الفكر الاسلامي المعاصر لجمال الدين عطية 2001

-المنهج الاسلامي في دراسة المجتمع -دراسة في علم الاجتماع الاسلامي لتوفيق نبيل السمالوطي 1985.

-إسلامية المعرفة بين الأمس و اليوم لطه جابر العلواني 1996.

-نحو علم الانسان الاسلامي لأحمد اكبر س 1990

-معالم المنهج الاسلامي لمحمد عمارة 1991.

هده الجهود و غيرها يمكن عدها محاولات جادة لبلورة فكرة اسلامية المعرفة ،بالاضافة الى الفعاليات العلمية على المستوى العالمي من بحوث و مؤتمرات علمية و تأسيس جمعيات على غرار جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين في امريكا سنة 1972 ثم تأسيس المعهد العالمي للفكر الاسلامي بواشنطن سنة 1981 (مجاهد، 1996).

ومنذ تأسيس المعهد العالمي للفكر الاسلامي اضحت مسألة إسلامية المعرفة أو المدرسة الاسلامية حاضرة في الخطاب العلمي عالميا وليس حكرا على العالم الاسلامي في محاول لايجاد البديل المنهجي خاصة في العلوم الانسانية و الاجتماعية الذي طغت عليه او احتكرته الوضعية و الماركسية و ما تبعهما من مدارس منهجية و نفس المنحى في العلوم الطبيعية الواقعة في مأزقها المعاصر و المتمثل في تركيزها على الجوانب الوجودية في دراسة و بحث المواضيع.

3-التصور المنهجي للمدرسة الاسلامية :ينبني التصور المنهجي للمدرسة الاسلامية على مجموعة من القضايا و هي :

3-1:مفهوم الغيب و الشهادة في الاسلام هو الاطار الاشمل الذي يحدد معنى الوجود الانساني و معنى العقل الانساني و دوروه في الحياة الانسانية و حدود هدا الدور و مجالاته،و مفهوم الغيب في الاسلام يمثل إطار الاجابة الاسلامية على السؤال الاشمل عن أصل الحياة و الوجود و غايتهم و يحدد بذلك معنى العلاقات الاساسية لهما .

إذن علاقة الانسان و فق مفهوم الاسلام بعالم الغيب و الشهادة هي علاقة خيرة ايجابية بناءة تهدف الى اقامة الحق و العدل في الحياة الانسانية و اعمار الارض و صيانة الكائنات و الارض من الفساد.

"الذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا "(سورة الملك الاية 3).

3-2-مصادر المنهجية الاسلامية : يتفق انصار المدرسة الاسلامية أن مصادر الفكر و المنهجية الاسلامية تتلخص في ثلاثة مصادر هي:الوحي و العقل و الكون .

***الوحي** كمصدر للمعرفة والتوجيه في حياة الانسان يقصد به عموما كلمة الحق التي أوحى الله بها إلى الأنبياء و الرسل لكي تبلغ ما أمر به إلى الامم و الوحي كمصدر للمعرفة و التوجيه الاسلامي يقصد به كلمة الله و إرادة الحق التي أوحي بها غلى نبيه و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ليبلغها للناس كافة رسالة خاتمة للمقاصد و المبادئ و الاحكام و القيم التي ينبغي لهم أن يلتزموها لتحقيق غاية وجودهم و بلوغ مقاصد أعمالهم و علاقاتهم .

***العقل** :العقل الانساني هو أداة الادراك و الفهم و النظر و التلقي و التمييز و الموازنة و هو وسيلة الانسان لأداء مسؤولية الوجود و الفعل في عالم الشهادة و الحياة و العقل بما أودع من فطرة الى جانب كونه الوسيلة الاساسية للإدراك فإنه يتضمن بديهيات المعاني و العلاقات بين الانسان و الحياة و الوجود و مختلف الكائنات و يبني عليها منطقه ومفاهيمه الاساسية في الوجود و دون ذلك لا يوجد إدراك و لا يوج فهم و لا وعي و لا توجد مسؤولية .

***الكون** :الكون هو ما يطلق عليه في القران و السنة "**عالم الشهادة** " أي كل ما هو مشهود بالنسبة للإنسان ومن ضمنه العالم المتغير عبر الزمان و المكان بالاضافة الى مختلف الموجودات و الظواهر الطبيعية و الانسانية و الاجتماعية .

وهنا تجدر الاشارة الى أهمية التراث الفكري و الدين و الفلسفي الاسلامي كونه يحدد معالم و يمد المدرسة الاسلامية بمختلف روافد المعرفة ففي دراسة قام بها المفكر المغربي محمد عابد الجابري (1987) بعنوان "بنية العقل العربي :دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية "استعرض فيها الاتجاهات الرئيسية التي شكلت نظرية المعرفة في الفكر الاسلامي و توصل الى ثلاثة اتجاهات رئيسية وهي (الجابري، 1987).

***الاتجاه البياني** و يمثله اتجاه الفقهاء و رواة الحديث النبوي الشريف.

***الاتجاه البرهاني** ويمثله فلاسفة المغرب العربي و الاسلامي وفي قمته التيار الفلسفي العقلاني بزاعمة ابن رشد و جوهر هدا الاتجاه البنية المعرفية القائمة البراهين الرياضية و العلوم المنطقية .

***الاتجاه الاشراقي** و تمثله الفلسفة الشرقية التي انتشرت في المشرق العربي و يعتبر السهروردي رائدها مثلها كل من ابوحامد الغزالي و علي ابن سينا تقوم على المشاهدة الباطنية بخلاف الفلسفة المغربية القائمة على التفكير الاستدلالي.

وفي نفس المنحى ذهب(Burrell, 1994) في دراسته التي هدف من خلالها الى التعرف على مبادئ نظرية المعرفة في الفلسفة الاسلامية بتركيزه على دراسة مصادر المعرفة فيها و توصل الى انه لم تتم الاشارة الى نظرية المعرفة الا من خلال التعرف على روافد الفلسفة الاسلامية وهي الفلسفة العقلية و الفلسفة الاشراقية و التيار التوفيقي بينهما ممثلا بالمعتزلة و استنتج كذلك انه على الرغم من ذيوع و انتشار التيار الصوفي أو الاشراقي في الفلسفة الاسلامية إلا أن الاهداف الحضارية و المعرفية لم تتحقق بواسطتهم بل كان الاثر الاكبر هو التيارات العقلانية بالرغم من التضييق الذي مورس عليها في تلك المرحلة التاريخية ويعترف الباحث أنه لولا المدرسة العقلانية الاسلامية لما تمكن فلاسفة عصر النهضة

في الغرب من تحقيق انجازاتهم و نجاحاتهم العلمية في تلك الفترة في الوقت الذي لم يجد فيه الغربيين أي تأثيرات للتيارات الاخرى على فلاسفة عصر النهضة.

3-3-المنطلقات الاساسية للمنهجية الاسلامية :تتميز منهجية المدرسة الاسلامية بأن لها منطلقات أساسية لا يمكن تجاوزها فهي بمثابة الركائز و الفرضيات الأساسية التي توجه العقل المسلم في بحثه و تعامله مع ماهية الحياة و الأحياء و الكائنات والتعامل معها و إدارة شؤونها و توجيه مسارها هده المنطلقات هي :

***الوحدانية (التوحيد)**:هي المنطلق الاساسي الأول لعقل المسلم ،فالعقل المسلم لا يكون له وجود الا اذا أمن بالوحدانية على أنها مسلمة عقيدية بديهية فطرية مصداقا لقوله تعالى ﴿**قل هو الله احد الله الصمد لم يلد و لو يولد و لم يكن له كفؤا احد**﴾ **(سورة الاخلاص)**

***الخلافة** :المقصود بالخلافة خلافة الانسان في الأرض و الكون و هي خلافة و رعاية و اعمار و ادارة و تسخير أصبحت بها الخلائق و الكائنات بإمرة الانسان و أصبح الانسان قائما بها في موضع الوصاية و النيابة عن الله في التصرف في الكون و في الأرض و في الخلائق و الكائنات و المسلم بفطرته و عقيدته السمحة و منهج فكره على أساس هد المنطلق و بما كرمه به من الارادة و قدرة العلم لا يرى الانسان في هدا الكون الا من موضع الخلافة و الاعمار و الصلاح في الارض.

لذلك فالعمل مطلب للإنسان و القرار مطلب للإنسان و العلم مطلب للإنسان و منطلق الخلافة لدى العقل المسلم يحدد غاية المطالب الفطرية و يرشدها فتصبح بذلك مطالب سعي إلى الخير و الى الرعاية و الى الاعمار .

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا ترجعون ﴾ المؤمنون 115.

﴿و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾البقرة 30.

المسؤولية :المنطلق الثالث الذي تقوم عليه المدرسة الاسلامية و المنهجية الاسلامية هو منطلق المسؤولية الاخلاقية .

و منطلق المسؤولية و بعدها هو منطلق وبعد يمثل الوجه الآخر لمنطلق الخلافة و مفهومها في تكوين المنهجية الاسلامية ،فالخلافة و الغاية منها ومؤهلاتها من حرية الإرادة و قدرة الادراك و طاقة العلم تحمل معها مسؤولية الانسان الاخلاقية عن هدا الدور و عما يترتب عليه من قرارات في تسخير الكون و ادارته بالسعي أم بالقعود بالإصلاح أم بالإفساد بالعدل و الاعتدال أم بالإسراف و الطغيان .

﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ الكهف 11.

﴿من عمل عملا صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ النحل 90.

4-نسق التفسير في المدرسة الاسلامية : امتداد لما سبق يتشكل الاطار المرجعي للمدرسة الاسلامية من القرآن الكريم و السنة الشريفة و اجتهادات الفقهاء حيث أن تناول الظواهر و موضوعات البحث و تفسيرها حسب المدرسة الاسلامية يتم ضمن هدا الاطار ،كون القرآن الكريم دستور و كتاب صالح لكل زمان ومكان وهذا ما نقف عليه في جملة من النقاط:

***التفسير القرآني لحركة التاريخ:** موقف القرآن من قضية القوانين التي تحكم حركة الانسان و المجتمع و التاريخ يطرح مسألة القوانين التاريخية التي يطلق عليها مصطلح **السنن و النواميس** التي تحكم حركة الانسان و المجتمعات في الحياة الدنيا و في الآخرة و بما ان هده النواميس و السنن واردة في القرآن الكريم و هو كتاب الله المقروء ،الله الذي خلق العالم و الانسان و السنن فان سنن اله صادقة﴿**ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير** ﴾.

اذن التصور القرآني للسنن الحاكمة و الضابطة لمسيرة الانسان و المجتمع يعد تصورا محكما لانه صادر عن الله سبحانه ،اما التصورات الوضعية من وجهة نظر المدرسة الاسلامية فهي تصورات نسبية تميزها المذهبية و ضيق حدود الرؤية ،لذلك تمثل السنن التاريخية الواردة في القرآن الكريم دستورا و اطارا عاما مرنا يجعلها تستوعب الاحداث و الوقائع التاريخية و المعاصرة و المستقبلية .

***السنن التاريخية كدافع حركي** : يلاحظ الدارس الباحث في علوم القرآن أن القرآن الكريم حريص على تحويل السنن إلى دافع حركي يحرك الناس و القادة اتجاه العقيدة الصحيحة ،فالقرآن لا يؤكد ثبات السنن و صدقها فحسب بل يحولها إلى دافع حركي يفرض على المجتمعات المؤمنة أن تتجاوز مواقع الخطأ التي قادت المجتمعات البشرية السابقة إلى الهلاك و الدمار مع الالتزام بالأساليب الفكرية و السلوكية التي أدت الى نجاح بعض المجتمعات و نجاتها .

من هده الزاوية ترى المدرسة الاسلامية أن الرؤية التاريخية في القرآن الكريم تتجاوز الاطر النظرية و الأساليب القصصية الفنية للوصول الى حركة توجيهية فاعلة لخدمة الحياة المعاصرة للأمم ،وذلك بالاستناد إلى الفهم العميق و الالمام الواسع بسنن الله في التاريخ،و الادلة كثير في القرآن الكريم من آيات تحض جماعات الانسان على أن "تسير في أرض كي تنظر "و تتعلم من العبر و السنن التى حاقت بالذين خلوا من قبل ،ومن أجل بناء عالم لا تدمره تجارب وممارسات الخطأ و الصواب ،تلك التجارب

التي دمرت شعوبا و امم سابقة .مصداقا لقوله تبارك و تعالى:﴿**قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ،هدا بيان للناس و موعظة للمتقين ولا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ،إن يمسسكم فرح فقد مس القوم فرح مثله ،وتلك الأيام نداولها بين الناس و ليعلم الله الذين آمنوا منكم و يتخذ منكم شهداء و الله لا يحب الظالمين ،وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين** ﴾ (**آل عمران 137-141**).

كما يؤكد القرآن الكريم على أهمية البحث التاريخي من حيث أثره البناء على الحاضر و المستقبل يقول تعالى:﴿**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون** ﴾ (**النمل 52**).

***الرؤية التاريخية في القرآن الكريم:** في مؤلفه الموسوم المنهج الاسلامي في دراسة المجتمع –دراسة في علم الاجتماع الاسلامي يشير (السمالوطي، 1985)الي مجموعة من النتائج حول الرؤية التاريخية في القرآن الكريم:

*أن القرآن الكريم أفرد مساحة واسعة لعرض أحداث تاريخ السابقين و الوقائع المعاصرة للرسول صلى الله عليه وسلم.

*العرض التاريخي في القرآن جاء في عدة أشكال من بينها القصصي والسردي والقصص القرآني يتضمن أحداث صادقة وواقعية .

*المساحة الزمنية في القرآن الكريم تجاوزت الماضي و الحاضر لتصل إلى المستقبل في صورة تنبؤات تحقق بعضها في عصر الرسول عليه السلام و ظل الباقي ينتظر التحقق لأنه لم يحدد له زمن بعد.

*استخدم القرآن الكريم أمثل الاساليب التربوية لتعليم و اقناع الناس منها أسلوب القصة و المحاجة و التحدي و الحوار.....

*استغرقت الرؤية التاريخية في القرآن الكريم تاريخ الانسان منذ بداية الخلق حتى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

*القرآن الكريم على عكس النظريات الوضعية لم يسرف في التنبؤات المستقبلية و انما اكتفى بوضع الخطوط العريضة و الاساسية التي تحكم حركة الانسان و المجتمعات و التاريخ.

*يتمثل الهدف الأساسي من العروض التاريخية في القرآن الكريم في إثارة الفكر البشري و دفعه للبحث عن الحقائق وتقديم خلاصات للتجارب البشرية السابقة من أجل تجنب تجارب المحاولة و الخطأ التي قد تدمر الانسان بالإضافة إلى استخلاص السنن الثابتة التي تحكم حركة الانسان و مصيره سواء في الدنيا أو الآخرة .

*إن الله ينفد جانبا من إرادته عن طريق البشر وهناك قدر من الحرية متروك للإنسان بعد إرسال الرسل و بيان الحق من الباطل وهدا اعتراف من الله بفعالية البشر في تشكيل ظواهر المجتمع و أحداث التاريخ في إطار إرادة الله وعلمه ومشيئته .

قائمة المراجع

Burrell, D. (1994). Principle of Epistimology in Islamic Philosophy. *journal of religion , 74* (1).

توفيق السمالوطي. (1985). *المنهج الاسلامي في دراسة المجتمع -دراسة في علم الاجتماع الاسلامي* (الإصدار 2). جدة: دار الشروق.

طه جابر العلواني. (1992). *إسلامية المعرفة بين الأمس و اليوم* (الإصدار 01). القاهرة: المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

عماد الدين خليل. (1990). *مدخل الى أسلامية المعرفة*. واشنطن: المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

محمد ابو القاسم حاج حمد. (2003). *منهجية القرآن المعرفية -اسلمة فلسفة العلوم الطبيعية و الانسانية* (الإصدار 1). بيروت: دار الهدى.

محمد عابد الجابري. (1987). *بنية العقل العربي :دراسة تحليلية نقدية لنظمالمعرفة في الثقافة العربية* (الإصدار 1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

منتصر محمود مجاهد. (1996). *أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية* (الإصدار 1). القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.